(سورة المعارج)

{ سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ } { لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ }
{ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلْمَعَارِجِ }
{ تَعْرُجُ ٱلْمَلاَئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ }
{ فَٱصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً } { إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً } { وَنَرَاهُ قَرِيباً }
{ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ } { وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ }
{ وَلاَ يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً }
{ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ }
{ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ } { وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُؤْوِيهِ }
{ وَمَن فِي ٱلأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنجِيهِ }

{ ذي المعارج } أي: المصاعد وهي مراتب الترقي من مقام الطبائع إلى مقام المعادن بالاعتدال، ثم إلى مقام النبات، ثم إلى الحيوان، ثم إلى الإنسان في مدارج الانتقالات المترتبة بعضها فوق بعض، ثم في منازل السلوك كالانتباه واليقظة والتوبة والإنابة إلى آخر ما أشار إليه أهل السلوك من منازل النفس ومناهل القلب، ثم في مراتب الفناء في الأفعال والصفات إلى الفناء في الذات مما لا يحصى كثرة فإن له تعالى بإزاء كل صفة مصعداً بعد المصاعد المتقدمة على مقام الفناء في الصفات.

{ تعرج الملائكة } من القوى الأرضية والسماوية في وجود الإنسان { والروح } الإنساني إلى حضرته الذاتية الجامعة في القيامة الكبرى { في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة } أي: في الأدوار المتطاولة والدهورالمتمادية من الأزل إلى الأبد لا المقدار المعين. ألا ترى إلى قوله في مثل هذا المقام في عروج الأمر:

{ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ }

[السجدة، الآية:٥] { فاصبر صبراً جميلاً } فإن العذاب يقع في هذه المدة المتطاولة يوم { يرونه } لاحتجابهم عنه { بعيداً ونراه قريباً } حاضراً واقعاً يتوهمه

المحجوبون متأخراً إلى زمان منتظر لغيبتهم عنه ونحن نراه حاضراً.

{ يوم تكون } سماء النفس الحيوانية متذائبة متفانية { كالمُهل } على ما مر في قوله:

{ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ } [الرحمن، الآية:٣٧]

{ وتكون } جبال الأعضاء هباء منبثاً على اختلاف ألوانها .

{ كالعهن ولا يسئل حميم حميماً } لشدّة الأمر وتفاقم الخطب وتشاغل كل أحد بما ابتلي به من هيئات نفسه وأهوال ما وقع فيه مع ترائيهم.

{ كَلاَّ إِنَّهَا لَظَىٰ } { نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ }

{ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ } { وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ }

{ إِنَّ ٱلإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً }

{ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعاً } { وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعاً }

{ إِلاَّ ٱلْمُصَلِّينَ } { ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاَتِهِمْ دَآئِمُونَ }

{ وَٱلَّذِينَ فِي أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ } { لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ }

{ كلا } ردع عن تمني الافتداء والإنجاء فإنه بهيئة أجرامه استحق عذابه وبمناسبة نفسه للجحيم انجرّ إليها.

ألا ترى إلى قوله: { تدعو من أدبر وتولّى } فإن لظى نار الطبيعة السفلية ما استدعت إلا المدبر عن الحق المعرض عن جناب القدس وعالم النور المقبل بوجهه إلى معدن الظلمة المؤثر بمحبته الجواهر الفاسقة السفلية المظلمة فانجذب بطبعه إلى مواد النيران الطبيعية واستدعته وجذبته إلى نفسها للجنسية فاحترق بنارها الروحانية المستولية على الأفئدة، فكيف يمكن الإنجاء منها وقد طلبها بداعي الطبع ودعاها بلسان الاستعداد.

{ إنّ الإنسان خلق هلوعاً } أي: النفس بطبعها معدن الشرّ ومأوى الرجس لكونها من عالم الظلمات، فمن مال إليها بقلبه واستولى عليه مقتضى جبلته وخلقته ناسب الأمور السفلية واتصف بالرذائل التي أردؤها الجبن والبخل المشار إليهما بقوله: { إذا مسّه الشرّ جزوعاً * وإذا مسّه الخير منوعاً } لمحبته البدن وما يلائمه وتسببه لشهواته ولذاته وإنما كانت أردأ لجذبهما القلب إلى

أسفل مراتب الوجود، قال النبي عليه الصلاة والسلام:

« شرّ ما في الرجل شحّ هالع وجبن خالع ».

{ إلاَّ المُصلين } أي: الإنسان بمقتضى خلقته وطبيعة نفسه معدن الرذائل إلا الذين جاهدوا في الله حق جهاده وتجرّدوا عن ملابس النفس وتنزّهوا عن صفاتها من الواصلين الذين هم أهل الشهود الذاتي { الذين هم على صلاتهم دائمون }

فإن المشاهدة صلاة الروح، غابوا في دوام مشاهدتهم عن النفس وصفاتها وعن كل ما سوى مشهودهم والمجرّدين الذي تجرّدوا عن أموالهم الصورية والمعنوية من العلوم النافعة والحقيقية وفرّقوها على المستحق المستعدّ الطالب وعلى القاصر الممنوّ بالشواغل عن الطلب.

{ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ }

{ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ }

{ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ } { وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ }

{ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ }

{ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَلِكَ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ }

{ وَٱلَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ }

{ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِم قَائِمُونَ }

{ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ }

{ أُوْلَـٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ }

{ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ }

{ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ }

{ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِىءٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ }

{ كَلاَّ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ }

{ فَلاَ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ }

{ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْراً مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ }
{ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ }
{ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ }
{ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ }

{ والذين يصدّقون } من أهل اليقين البرهاني والاعتقاد الإيماني بأحوال الآخرة والمعاد وهم أرباب القلوب المتوسطون.

{ والذين هم من عذاب ربّهم مشفقون } أي: أهل الخوف من المبتدئين في مقام النفس السائرين عنه بنور القلب لا الواقفين معه أو المشفقين من عذاب الحرمان والحجاب في مقام القلب من السالكين أو في مقام المشاهدة من التلوين فإنه لا يؤمن الاحتجاب ما بقيت بقيته كما قال: { إنّ عذاب ربّهم غير مأمون والذين هم لفروجهم حافظون } من أهل العفة وأرباب الفتوة.

{ والذين هم لأماناتهم } التي استودعوها بحسب الفطرة من المعارف العقلية

{ عهدهم } الذي هو أخذ الله ميثاقه منهم في الأزل { راعون } أي: الذين سلمت فطرتهم ولم يدنسوها بالغواشي الطبيعية والأهواء النفسانية

{ والذين هم بشهاداتهم قائمون } أي: يعملون بمقتضى شاهدهم من العلم فكل ما شهدوه قاموا بحكمه وصدروا عن حكم شاهدهم لا غير

{ والذين هم على صلاتهم } أي: صلاة القلب وهي المراقبة { يحافظون } أو صلاة النفس على الظاهر{ أولئك في جنات مُكرمون } على اختلاف طبقاتهم، الفرقة الأولى في جنات من الجنان الثلاث، والمتوسطون من أرباب القلوب في جنات من جنتين منها والباقون في جنات النفوس دون الباقيتين.

{ فلا أقسم بربّ المشارق والمغارب } من الموجودات التي أوجدها بشروق نوره عليها وغروبه فيها بتعينه بها أو أعدمها بشروق نوره منها وأوجدها بغروبه فيها { إنّا لقادرون * على أن } نطلع نورنا منهم فنهلكهم ونجعله غارباً في آخرين { خيراً منهم } فنوجدهم { يوم يخرجون } من أجداث الأبدان { سراعاً } إلى مقارّ ما يناسب هيئاتهم من الصور، والله تعالى أعلم.